﴿بِٱلْحَقِّ﴾؟: فـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[1]! لأن الرسول ﷺ كان في أعلى قمم التقوى، وجلاً قلبه بذكر الله، زائداً إيمانه إذا تليت عليه آيات الله أو تلي آيات الله، متوكلاً - على أية حال - على الله، مقيماً للصلاة ومنفقاً مما رزقه الله في الله، لذلك فعلى الله ألا يكلَه إلى نفسه وأن يرعاه بخاصة رعايته، وإخراجه من بيته مهما كان بإخراج المشركين تصميماً لقتله، ولكن - من ناحية أخرى - إخراج من الله إلى الغار حيث أعماهم كيلا يروه، خلاصاً عن قتلهم إياه، وإلى المدينة حتى بعد عدَّته، ويُمضي مدته خلال عشرة كاملة فيرجع إلى بيته عزيزاً منتصراً، ثم إخراجاً منه للبدر الكبرى كانتصار أول له بعد الهجرة، فمهما كان ذلك الإخراج من المشركين بالباطل قضية تصميمهم على قتله، فقد كان من الله بالحق، بل إنهم ما أخرجوه في مكرهم اللعين، بل صمموا على قتله فأخرجه الله تخليصاً له عن كيدهم أولاً، وتأسيساً لدولة الإسلام في مهجره أخيراً، ثم رجوعاً إلى العاصمة منتصراً.

فنسبة الإخراج إلى الذين كفروا نسبية فإنه - فقط - إحراج بتصميم قتله فأخرجه الله، ثم نسبته إلى الله واقعية حقيقية حيث نجاه به من بأسهم.

فهو - إذاً - إخراج من ربك بالحق، قضية التربية القمة الخاصة بك، حيث يريد الله تكميل رسالتك وبلاغ دعوتك، ولأنها لم تكن لتتم في ذلك الجو المُحرج المكي، فقد أخرجه الله إلى المدينة استتماماً لدعوته واستكمالاً لبقيته، وكما أخرجك ربك من بيتك بالحق يوم بدر.

ذلك، رغم ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ ذلك الإخراج، بقصر النظر إلى ظاهر الإحراج وحاضره الوبيء، دون نظرة إلى صالح الحاضر فراراً عن بأسهم، وصالح المستقبل استرجاعاً للعاصمة بكل قوة.

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

فحين يرى الداعية أن جو الدعوة الحاضر صعب صلب صلت، وقد يُقضى على دعوته فيه أو يُصد عنها، فصالح الدعوة أن يتنقل بحياته وحياة الدعوة إلى جو آخر يستكمل فيه عِدته وعُدته لردح صالح من الزمن، ثم إذا رأى كفاحاً صارماً في بنيته بأنصاره يرجع إلى عاصمة الدعوة قوياً صارماً منتصراً وكما فعله الرسول ﷺ بما أخرجه الله من بيته بالحق.

ذلك إخراج بالحق هجرة، ثم إخراجات أخرى كما أخرجك ربُّك من المدينة لحرب بدر ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ كراهة لمعركة دموية خطيرة، حيث يرون عدم المكافحة في عِدة ولا عُدة، فإنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً والمشركون ألف أو يزيدون، وكما كانوا كارهين اختصاص الأنفال بالله والرسول، فبين الكراهتين تشابه موردهما في الحق لصالحهم أنفسهم.

فـ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ في التأويل الأول، هي كما أخرجناه، وفي الثاني قد يعني: أن الله خصك بعد نفسه تعالى بالأنفال، كما خصّك أن ﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾. فلولا أن الله أخرجه يوم بدر لم يحصل ذلك الفتح المبين، جبراً لكسر إخراجه من العاصمة بعد ثمانية عشر شهراً من مهجره.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾:

هؤلاء الكثيرة الكارهة لخروجك عن العاصمة عند الهجرة، وخروجك عن المدينة إلى بدر ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى﴾ ذلك ﴿ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ لهم بما أخرجك ربك وحياً فارضاً ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ حيث يرونهم قلة وأعداءهم كثرة كثيرة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إلى مضاجعهم في هذه الحرب الحرجة الخطيرة المَرِجَة[1].

(١) روى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني أخبرت عن عير أبي سفيان بأنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قِبَل =

. . . . . .

= هذه العير لعل الله أن يغنمناها؟ فقلنا: نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: ما ترون في قتال القوم؟ إنهم قد أخبروا بخروجكم؟ فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكنا أردنا العير، ثم قال: ما ترون في قتال القوم؟ فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو: إذن لا نقول لك يا رسول الله ﷺ كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المَائدة: ٢٤] فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد بن عمرو أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، قال: فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ [الأنفَال: ٥].

وفي البحار ١٩: ٢١٥ قال أصحاب السير وذكر أبو حمزة وعلي بن إبراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض: أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة فيها أربعون راكباً من قريش فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها وقال: لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك فأخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل فقال: هذه بنية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلا لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساء من بني هاشم، فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت: يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير أدركوا وما أراكم تدركون، إن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، وخرج معهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم -

وفي حديث أبي حمزة الثمالي بعث رسول الله ﷺ عيناً له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أين فارق العير نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله =

. . . . . .

= إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على أهبة الحرب. . وأنا عالم بهذا الطريق فارق عديٌّ العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على بدر يوم كذا وكذا كأنّا فرسا رهان، فقال ﷺ: اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقنا وشهدنا أن ما جئت به حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكنا نقول: امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله ﷺ على قوله ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس - وإنما يريد الأنصار - لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنا براء من ذمتك حتى نصل إلى دارنا، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع آباءنا ونساءنا فكان يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو وأن ليس عليهم أن ينصروه بخارج المدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ فقال: نعم، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله أن يريك ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال: سيروا على بركة الله فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج إلى بدر وهو بئر - وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟

قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلي فانفتل من صلاته وقال: إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم فأتوه بهم فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددكم قال: كم ينحرون كلّ يوم من جزور؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله ﷺ: القوم تسعمائة إلى ألف رجل فأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال: أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم بغوا قط ولوددت ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له أبو البختري: إنك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي أصابها محمد ﷺ وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك، فقال له: علي ذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلة يعني أبا جهل، فسر إليه وأعلمه أني حمّلت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله، قال: فقصدت خباه =

وهنا نعرف أن التكتيكات الحربية إلى سائر التصرفات الرسالية، كانت كلها بوحي من الله وكما قال الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[1] فحاكميته الرسالية في كل حقولها ليست إلّا بما أراه الله دون رأيه أم آراء المسلمين.

ومهما استشار الرسول ﷺ في ظاهر الحال أصحابه في مواجهة النفير أو العير وأكثرهم كانوا مع العير خائفين عن النفير كأبي بكر وأضرابه، ولكن قلة قليلة كالمقداد وأضرابه تقول «امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون» ولكنه كان ماضياً بأمر الله على أية حال حيث ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾.

ذلك والمجادلة بين محظورة ومحبورة[2] والمحظورة هي المجادلة في الحق نكراناً له، والمحبورة هي المجادلة تصديقاً إياه.

= وأبلغته ذلك فقال: إن عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد أن يخذل بين الناس، لا واللّات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب، أو نأخذهم أسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وإن لم ترجعوا فردّوا القيان، فلحقهم الرسول ﷺ في الجحفة فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة، قال: وفزع أصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ . . .﴾ [الأنفال: ٩].

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن المجادلون في دين الله» وقد نهي عن الجدل والاختلاف، وهو الجدل في الحق لإبطاله أو التشكيك فيه دون عناية لإيضاحه وتحقيقه كما في مفتاح كنوز السنة تحت عنوان «النهي عن الجدل والاختلاف» عن بخ - ك ٩٦ ب ٢ و٣ و٢٦، مس - ك ٤٣ ح ١٣٢ و١٣٤، ك ٤٨ ح ٥، بد - ك ٣٩ ب ٤، قا ١٨، مج - المقدمة ب ٧ و١٠، مي - المقدمة ب ٢٨ و٣٤، حم - أول ص ٤٥٧، ثان ص ٣١٧.
وتحت عنوان «ما يهدم الإسلام من الجدل» عن مى - المقدمة ب ٢٢، وتحت عنوان ما ضل قوم بعد هدي إلا أوتوا الجَدَل عن مس - ك ٤٣ ح ١٣٠ و١٣١ حم - خامس ص ٢٥٢ و٢٥٦.

والمجادلة في الحق بعد التبين أشد حظراً منها بغير علم كما ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ومن ثم بغير علم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[١] وأنحس منهما المجادلة لدحض الحق: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[٢].

وكما للمجادلة المحظورة دركات، كذلك للمحبورة درجات أحسنها أحسنها: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣] وطالما الجدال نوعان، لكنما المراء محرم على أية حال[٤].

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾! «فإن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومُباعد طيَّاتكم، زائر غير محبوب، وقِرنٌ غير مغلوب، وواترٌ غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائله، وتكفتكم غوائله، وأقصدتكم مَعابِله، وعظُمت فيكم سطوته، وتتابعت عليكم عدْوَته، وقلت عنكم نَبْوَته، فيوشَك أن تغشاكم دواجي ظُلله، واحتدام علله، وحنادس غمراته، وغواشي سَكَراته، وأليم إزهاقه، ودُجُوُّ إطباقه، وجشوبَة مذاقه، فكان قد أتاكم بغتةً فأسكت نجيَّكُم، وفرق نديَّكم، وعفى آثاركم، وعطل دياركم، وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم، بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخَرَ شامت لم يجزع»[٥].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٤) وعن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ «ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة: في رياضها وأوسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء (العوالم ٢ - ٣: ٤٣٢).
(٥) (الخطبة ٢٢١).

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾:

﴿ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ هنا هما العير والنفير[1] عير كبير من الشام إلى مكة مثقلة بأموال ضخمة، ونفير من مكة مثقلة بعتاد للحرب ضخمة يريدون حرب الرسول ﷺ وقد وعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين «أنها تكون لكم» تغلُّباً على العير أم على النفير، والنفير هي بطبيعة الحال ذات الشوكة الحربية القوية عِدة وعُدة، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في قلة من عِدة وعُدة، فأنتم ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ خوفاً عن الشائكة، واغتناماً للغنيمة دونما حرب، ولكن ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بهزيمتهم العظيمة رغم كثرتهم الكثيرة في عِدة وعُدة.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾:

وحيث لا يضمن التغلب على العير إحقاق الحق وإبطال الباطل إلا تغلباً اقتصادياً، ولكن التغلب على النفير يضمن كل تغلب للحق على الباطل، لذلك أراد الله أن تكون لهم الطائفة ذات الشوكة، تحقيقاً للحق وقطعاً لدابر الكفر، تضعيفاً لساعده ومساعده لردح بعيد من الزمن.

وهكذا حاكَ في نفوس كثير من المؤمنين كراهة القتال حتى ليقول الله عنهم: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ رغم تبين الحق وأن الله وعدهم إحدى الطائفتين، مقدراً لهم إحداهما كما يريد لا كما يريدون.

فقد قدر الله لهم إحدى الطائفتين أولاً على سبيل الإجمال كائنة ما

(١) مر تخريجها في الحاشية رقم (٤) في الصفحة السابقة.

كانت عيراً أو نفيراً، القوية ذات الشوكة والشائكة، أو الأخرى غير ذات الشوكة، وهم يريدون حاضر العير دون تعب، والله يريد حاذر النفير بتعب وليحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، بضمان رباني «أنها تكون لكم» مهما كان في أمر مواجهتهم من إمر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١] فأين ما أراده الله لهم مما أرادوه، فلقد كانت تمضي - لو كانت لهم غير ذات الشوكة - قصة غنيمة فحسب، فأما قصة بدر فقد مضت في التاريخ كله قصة عقيدة صامدة للمؤمنين، وعقدة كافرة عاندة للكافرين، قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله انفصالاً عما سوى الله وتخلصاً من ضعفها الذاتي، فقد خاضت المعركة بنصر الله وكفة الكفر راجحة في الظاهر، فقلبت كفة الإيمان بيقينها ميزان الظاهر فغلبت عليها ذلك الغَلَب الباهر.

ولقد حقق الله وعده في أنها تكون لكم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢] ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾[٣].

ذلك، وهنا تفاصيل هامة عن وقعة بدر الكبرى امتناناً على الرسول وعلى المؤمنين وليأخذوا درساً عن روحية التكتيك في قتال أعداد الله على مدار الجبهات الإسلامية السامية دونما استثناء.

لقد نسمع الرسول ﷺ في غائلة بدر يقول: «اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» فما زال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداءه من منكبه فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾[٤] [٥]

(١) سورة الشرح، الآية: ٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٥) البحار ١٩: ٢٢١ قال ابن عباس: لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو جهل: =

ويقول: «اللَّهم إنهم حفاة فاحملهم، اللَّهم إنهم عراة فاكسهم، اللَّهم إنهم جياع فأشبعهم»(١).

ذلك، وقد دعاهم رسول الله - مبتدراً بينهم - إلى بدر لمواجهة النفير دون العير فقال: هلموا إلى بدر فإن هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر، لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثم ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغير ولا تتقدم ولا تتأخر لحظة ولا قليلاً ولا كثيراً فلم يخف ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده وقال: نعم - بسم الله فقال الباقون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيام... فخطا القوم خطوة ثم الثانية فإذا هم عند بئر بدر فعجبوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اجعلوا البئر العلامة واذرعوا من عندها كذا ذراعاً فذرعوا فلما انتهوا إلى آخرها قال: هذا مصرع أبي جهل يجرحه فلان الأنصاري ويجهز عليه عبد الله بن مسعود ضعف أصحابي، ثم قال:

اذرعوا من البئر من جانب آخر ثم جانب آخر ثم جانب آخر كذا وكذا ذراعاً وذراعاً - وذكر أعداد الأذرع مختلفة - فلما انتهى كل عدد إلى آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا مصرع عَتَبة، وذلك مصرع الوليد، وهذا مصرع شيبة، وسيُقتل فلان وفلان، إلى أن سمى تمام سبعين منهم بأسمائهم، وسيُؤسر فلان وفلان، إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم

= اللّهم أولانا بالنصر فانصره، واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ...﴾ [الأنفال: ٩]
وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهم..

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بهذا الدعاء رافعاً يديه إلى السماء حين خرج بعدة البدر من المؤنثة.

وصفاتهم، ونسب المنسوبين إلى الآباء منهم، ونسب الموالي منهم إلى مواليهم، ثم قال رسول الله ﷺ: أوقفتم على ما أخبرتكم به؟ قالوا: بلى، قال: «إن ذلك لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً من اليوم التاسع والعشرين وعداً من الله مفعولاً وقضاء حتماً لازماً»[1].

(١) بحار الأنوار ١٩: ٢٦٥ م ج بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام قال: أرسل أبو جهل بعد الهجرة رسالة إلى النبي ﷺ وهي أن قال: يا محمد إن الخيوط التي في رأسك هي التي ضيقت عليك مكة ورمت بك إلى يثرب وإنها لا تزال بك حتى تنفرك، وتحثك على ما يفسدك ويتلفك إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حر نار وتعدّيت طورك، وما أرى ذلك إلا وسيؤول إلى أن تثور عليك قريش ثورة رجل واحد لقصد آثارك ودفع ضررك وبلائك فتلقاهم بسفهائك المغترين بك ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك فيلجئه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفه لأن يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك إذ يعتقدون أن أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرقوا بين من والاك وعاداك واصطلموهم باصطلامهم لك وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسبي والنهب كما يأتون على أموالك وعيالك وقد أعذر من أنذر وبالغ من أوضح - فأديت هذه الرسالة إلى رسول الله ﷺ وهو بظاهر المدينة بحضرة كافة أصحابه وعامة الكفار من يهود بني إسرائيل وهكذا أمر الرسول ﷺ ليجَّبن المؤمنين ويغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين - فقال رسول الله ﷺ للرسول: قد أطريت مقالتك واستكملت رسالتك؟ قال: بلى. قال: فاسمع الجواب: إن أبا جهل بالمكاره والعطب يتهددني ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني وخبر الله أصدق والقبول من الله أحق، لن يضر محمداً من خذله أو يغتصب عليه بعد أن ينصره الله ويتفضل بجوده وكرمه عليه، قل له: يا أبا جهل إنك راسلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن، إن الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسعة وعشرين وإن الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي وستلقى أنت وعتبة وشيبة والوليد وفلان وفلان - وذكر عدداً من قريش - في قليب بدر مقتلين، أقتل منكم سبعين وآسر منكم سبعين، أحملهم على الفداء الثقيل، ثم نادى جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخلاط: ألا تحبون أن أريكم مصرع كلّ واحد من هؤلاء؟ قالوا: بلى، قال: هلموا إلى بدر فإن هناك الملتقى والمحشر فقال رسول الله ﷺ لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون؟ قالوا: نحن نريد أن نستقر في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادعائه محيل، فقال رسول الله ﷺ: لا نصب عليكم بالمصير إلى هناك، اخطوا خطوة واحدة فإن الله يطوي الأرض=